دراسة إكلينيكية للتأثيرات النفسية لهدم الجيش الإسرائيلي للمنازل على الأطفال الفلسطينيين

د/ فضل خالد أبو هين*

Summery

This study aimed to examine the clinical effects of home raids and dimolishing homes and its clinical effect on the psychological life of the palistinian children of Gaza.The syudy concentrait on the tipe of idintification with the father as astrong figer who can offer the child security and trust.The study shows the effect of father exposure to stress and trauma on the mental and psychological life of his children and some manifistations was observed from this study like phisical,mental, and psychological manifistation on children.

الملخص

هذه دراسة كلينيكية لتأثيرات فقدان المنازل على الأطفال الفلسطينيين لمايمثله المنزل من دفء وهدوء وراحة وأمان نفسي واجتماعي للطفل،ومن خلال هذا الحادث الصادم الذي تعرض له الطفل الفلسطيني كنتاج لاعتقال الأب وفقدان المنزل،ظهرت العديد من التأثيرات السلبية الصحية والجسدية والسلوكية على الطفل،وقد أظهر التحليل النفسي للحالة التي نتحدث عنها كيف تأثر البناء النفسي للطفل والذي امتصه من خلال توحده بالأب الذي اعتبر في نظر الطفل مصدراً للأمن النفسي ،ولكن ماحدث للأب أمام أعين الطفل جعله يشعر بالاختلال النفسي مما جعله يعيد توحده بالأقوى من خلال وسيلة دفاعية نفسية وهي التوحد بالمعتدي الذي ظهر في حالة الانقلاب السلوكي للطفل بعد تعرضه للحدث الصادم.

---

* أستاذ علم النفس المساعد بجامعة الأقصى – غزة.

المقدمة:

منذ عام 1967م احتلت إسرائيل الضفة الغربية وقطاع غزة وشرقي القدس،وبذلك أصبحت كل أرض فلسطين تحت السيطرة الإسرائيلية إضافةً لهضبة الجولان السورية وصحراء سيناء المصرية.

ومنذ ذلك الوقت ولكي تضمن السلطات المحتلة لنفسها أكبر استنفاذ واستهلاك للأرض والإنسان العربي والفلسطيني تحديداً ،درجت السلطات الإسرائيلية على ملاحقة العناصر التي تقف في وجه الاحتلال وزجهم في السجون أو قتلهم أو إبعادهم عن أرض الوطن بحجج خروجهم عن القانون،ويحدث في الغالب استخدام طرق متعددة ضد هذه العناصر الفاعلة وأكثرها وأهمها هدم منازل للمناضلين الفلسطينيين.ولانريد الخوض أكثر في أحداث عام (1967م) أو ظروف المعاناة والمشاكل واأازمات والصدمات التي ألمت بالمجتمع الفلسطيني آنذاك،بل نود من خلال هذه الدراسة التركيز على الأطفال الفلسطينيين في الوقت الحالي،وهذا بطبيعة الحال يقودنا الى الحديث عن اقتحام وهدم المنازل من جانب الجيش الإسرائيلي خلال مراحل النضال وتأثيراته على الأطفال.

ففي أوائل ديسمبر 1987 م اندلعت الانتفاضة الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة وشرقي القدس،وكان لاندلاعها تأثير قوي على الإنسان الفلسطيني،إذ عبرت عن سلسلة القهر والإحباط الطويل التي عايشها الإنسان في الأراضي المحتلة،وكذلك عبرت عن واقع العجز والمهانة وواقع الخنوع الذي وجد الشعب الفلسطيني نفسه فيه،ولكن بتفجر الانتفاضة تفجر معها واقع نفسي مواكب لها وهو واقع الإحساس بالقدرة والتحدي والإحساس بالأمل الذي أحيته الانتفاضة في قلوب السكان،وأشعرتهم بأن دماء المهانة والإستكانة والخنوع التي أدخلها المحتل طوال العقود الماضية تبدل بالانتفاضة الى دماء ثورة وقوة وفاعلية وكرامةتجري في عروق الإنسان الفلسطيني،والأهم من ذلك رفع مستوى تقدير الذات وتصحيح صورة الذات ليس فقط للإنسان الفلسطيني ،بل

للعرب جميعاً من المحيط إلى الخليج،وتكسرت أمامها أسطورة الجيش الذي لايقهر من خلال فضح هذا الزيف أمام مشاركة شباب وأطفال الانتفاضة ووقوفهم أمام آلة الحرب الإسرائيلية التي أخافت العديد من الجيوش.وبرغم ماأحدثته الانتفاضة من تغيرات في البنية النفسية للسكان الفلسطينيين بشكل إيجابي،إلا أن واقع العنف الناتج عن قمع الانتفاضة كان له وقع خاص عليهم،إذ اختلف تعرض السكان لوقائع الانتفاضة بين تعرض فعلي مادي لبعض الأفراد وبالتالي حدوث تأثير مباشر لديهم ،وتعرض الفئة الأخرى بطريقة غير مباشرة لأحداث الانتفاضة وبالتالي حدوث تأثيرات غير مباشرة لديهم.

فمن التأثيرات المباشرة لوقائع انتفاضة عام 1987 م تعرض حوالي 1200 فرد للاستشهاد وحوالي 33 ألف للإصابة بأشكال مختلفة منها الضرب المتعدد الأشكال والذي أدى إلى تكسير العظام وهو أسوأ ما استخدم بحق المواطنين، حيث تناقلت وسائل الإعلام كيفية قيام جيش الاحتلال بتكسير عظام الشباب بطرق مختلفة إما بالحديد أو بالصخر أو بأية طريقة أخرى،وكذلك نسف المنازل،وتعرض (415)فرداً فلسطينياً للإبعاد عن أرض الوطن الى جنوبي لبنان. ولقد تبين من خلال الدراسة التي أجراها برنامج غزة للصحة النفسية (1992م) حول العنف والأطفال الفلسطينيين،والتي أجريت على عينة من الأطفال يقدر عددهم بـ (2779)طفلاً بين الثامنة إلى الخامسة عشر من العمر بأن هناك (96٪) من أفراد العينة تعرضت منازلهم للمداهمات الليلية،وأن (10٪) من الأطفال شاهد والده يتعرض للاعتقال أمامه على أيدي الجيش الإسرائيلي،وأن (31٪) تعرض أحد أفراد الأسرة سواء الإخوة أو أحد الأعمام للإعتقال ،وتعرضت بيوت حوالي (2٪) من هؤلاء الأطفال الذين طبقت عليهم الدراسة للهدم.

هذه الأجواء الضاغطة لم تنته من حياة الاطفال والأفراد الفلسطينيين ،فبعد عام 1993م وقعت اتفاقية مدريد للسلام من أجل إنهاء الاحتلال ورفع المعاناة عن الشعب

الفلسطيني، ومنذ ذلك الوقت أيدت معظم فئات المجتمع الفلسطيني إجراءات تطبيق معاهدة السلام بسبب إحساسهم أن السلام سيكون نهاية لمعاناتهم التي استمرت ثلاثة عقود من الزمان، فالسلام بالنسبة للأم التي يتعرض أولادها للاعتقال معناه جمع شمل الأسرة ونهاية لاعتقال أولادها، والأب العاطل عن العمل أدرك السلام بأنه بداية لفتح باب اقتصادي من الانتعاش والرفاهية الاقتصادية، والإنسان المطارد والملاحق فهم السلام بأنه نهاية لمعاناته وملاحقته وتوقف للمخاطر التي تحدق به، ولكن بعد استمرار حلقة السلام المفرغة أتت اتفاقية السلام بعكس ماكان متوقعاً، فزاد تعقد الحياه الاجتماعية وزادت معاناة المواطنين اقتصادياً وزادت المخاطر الأمنية والسياسية وزادت الحواجز والمنوعات أمام الفلسطيني، فبدلاً من إتساع فضاء المجتمع الفلسطيني بحلول السلام، زادت مظاهر الضيق في مجالات الحياه بطريقة جعلت المؤيدين للسلام في تناقص مستمر وتنامي عوامل الضغط والإحباط بصورة مهدت الطريق لاندلاع انتفاضة النفق (1997م)والتي راح ضحيتها أكثر من مائة شهيد ومئات الجرحى، واستمرت رحلة معاناة المفاوضات السلمية وسلسلة التضييق والإحباط التي تحكم الخناق على الفلسطينيين مما مهد الأرضية الخصبة لاندلاع انتفاضة الأقصى.

بتاريخ 2000/9/28، بدأت انتفاضة الأقصى الفلسطينية من خلال الزيارة التي قام بها شارون للحرم القدسي الشريف، وماتلاها من اندلاع لسلسة المواجهات الشريفة التي قادها الفلسطينيون ضد جيش الاحتلال الإسرائيلي من ساحات المسجد الأقصى والتي سرعان ماامتد لهيبها لتغطي كافة الأراضي الفلسطينية المحتلة وحتى المناطق الفلسطينية داخل الخط الأخضر، وأخذت بعداً إقليمياً باندلاع العديد من المواجهات المساندة لانتفاضة الأقصى وبعداً عالمياً مسانداً لمواجهات الشعب الفلسطيني والذي قوبل بالمزيد من العنف المحموم من جانب السلطات المحتلة أدت في مجملها إلى حدوث كل مايمكن أن يتم في الحروب كافة من الموت والإصابات متعددة الأنواع إلى التدمير

والاقتلاع والإساءات لكل شيء،وقد كان لآثار هذه الانتفاضة الوقع الشديد على نفوس وسلوك المجتمع الفلسطيني بكافة شرائحه والتي اختلفت في مجمل نتائجها عن الانتفاضات كافة التي خاضها الإنسان الفلسطيني طوال العقد الماضي ويعود ذلك الى الأسباب التالية:

. إن انتفاضة الأقصى أتت في وسط أجواء السلام،حيث التطبيع والأفكار الحسنة عن السلام والتعايش السلمي والمصالح المشتركة وحركة التطبيع الشبابي بين الطرفين بشكل جعل التوقع لإمكانية حدوث مثل هذه الأمور بعيدة، أو خارج نطاق التوقع العقلي لأفراد المجتمع،وحينما حدثت وتعرض الفلسطيني لكل مايمكن أن تتمخض عنه عقلية الإجرام من مخترعات في علوم القتل والتعذيب،شعر الإنسان الفلسطيني بالخوف الحقيقي على الحياة من جراء شدة وفداحة وعنفوان ردة الفعل التي صدرت عن العقلية التي توقع منها السلم والمهادنة ،ولكن على الأرض لم يخرج منها إلا العنف والبطش الشديد،لذلك أتى الفعل مناقضاً للتوقع من هنا كانت آثاره النفسية شديدة.

إن شمولية العنف وشمولية الآثار غرست داخل الفلسطيني الإحساس بالاستهداف،ففي الانتفاضة الماضية كان تركيز الجيش الإسرائيلي في معظم الحالات على النشطاء،فقد كانت التصفية تتم لهم بالمتابعة والملاحقة، ومن ثم القبض عليهم أو تصفيتهم، ولم يتم التعرض للناس العاديين،لكن في انتفاضة الأقصى لم يسلم منها أحد،فقد برز لدى الجندي الإسرائيلي حب القتل لإشباع غريزة معينة داخله،من هنا قتل العديد من الناس في البيت وفي السيارة وفي الشارع وفي العمل وعلى الحواجز وبدون أي سبب يذكر،وهذا العامل عزز داخل الإنسان الفلسطيني مبدأ أن حياته مستهدفة في كل المجالات،فلم يعد التهديد قاصراً على النشطاء،بل على الجميع بشكل أدى الى مزيد من الخوف والقلق،بسبب إحساسه بالمتابعة وعدم الحماية لهم

حتى داخل أكثر الأماكن أمناً وهي المنازل.

شدة النتائج في انتفاضة الأقصى وتقطيع أوصال الوطن ومحاولة انتهاج كافة أساليب البطش والعدوان،فمن تقطيع الوطن الى أجزاء ومنع التواصل،الى منع التعليم ومنع الوصول للمستشفيات وتهديد حياة المرضى بالخطر ومنع المدرسين والأطباء والمسافرين من الحركة، ومنع العمال من العمل،بصورة جعلت الإجراءات كافة مباحة ومتاحة لهم،مما أعطى المواطن الفلسطيني الإحساس بالاستهداف للعدوان بأي صورة وأشدها وقعاً هوالوضع الاقتصادي القاتل ،وسياسة التجويع ومنع إدخال المواد التموينية المرتبطة بحاجات السكان الحياتية المباشرة.

تعرض المجتمع لوسائل شديدة لم يخبرها بعض الأجيال من قبل، مثل القصف بالصواريخ والقصف بالطائرات وبالدبابات وبالمدافع الثقيلة واستخدام الغازات السامة والأسلحة المحرمة دولياً كما أشارت بعض التقارير وغيرها.

ولو حاولنا ترجمة كل ماسبق الى لغة نفسية لقلنا إن الطفل شعر بفقدان الأمن والأمان وبالإستهداف الشخصي والملاحقة الشخصية له ولذويه، ولايستطيع أحد توفير الحماية والامن له،وهذا بحد ذاته يجعل النتائج المتوقعة لديه شديدة في ظل تعرضه للاستهداف.فإذا كان البعض يشعر بالخوف خارج البيت بسبب إمكانية التعرض للسوء خارجه،فإن وصول القصف الى داخل المنزل وتعرض البعض للإصابة بل وفقدان الحياة داخل البيت، جعل الوضع فيه غير آمن للطفل،وإذا كان بعض الأطفال يشعرون بالأمن في وجود الآباء وحماية الكبار،فإن مشاهدة ماحدث للطفل محمد الدرة والذي أستشهد بين يدي والده فى مشهد يظهر حجم المعاناه وعمق المأساة وضراوة العدو المغتصب ،والطفلة إيمان حجو التي استشهدت بين يدي أمها قلل من شعور الطفل بالأمان حتى بين والديه،من هنا تزايدت مخاوف الأطفال والتأثيرات السلبية التي نتجت لديهم من جراء التعرض للعنف الإسرائيلي بصورة شديدة كما وصفتها الباحثة الفلندية "رايا لينا

بوناماكي 1986م حينما وصفت ذلك بنقطة الفزع في النفسية الفلسطينية،وتلك هي التراكمات الشخصية التى أوجدتها الممارسات الإسرائيلية تجاه السكان،فحياة السكان مهددة بالخطر في أي لحظة من خلال الوجود الكثيف والمتواصل للجيش الإسرائيلي ومحاولاته المستمرة لتخويف السكان بأساليب متعددة وكثيرة". **(بوناماكي، 1986م).**
لقد كان من نتائج مشاركة الأطفال وتصديهم للجيش الإسرائيلي العديد من النتائج خاصة على صعيد الاستهداف للحياة،فقد أوضحت دراسة "أبو هين وآخرون 1993م بأن حوالي (95٪) من أطفال عينة الدراسة البالغ عددهم (2796) طفلاً ممن تتراوح أعمارهم ما بين 7-12 سنة قد تعرضوا لخبرات الانتفاضة ،وبالتالي ظهرت المخاوف والتوترات والقلق لدى الأطفال المشاركين في فعاليات الانتفاضة بصورة أقل مما وجدت عليه لدى الأطفال السلبيين غير المشاركين في أحداثها،ولكن سواء هذا أو ذاك،فقد تبين أن حوالي (55٪) من مجمل الأطفال ظهرت لديهم التأثرات النفسية بصورة تعكس درجة التأثر من العنف الإسرائيلي"(أبو هين وأخرون، 1993)ومن الدراسات التي تؤكد هذه النتائج "دراسة قوته، 1992، 1993، 1995، 1996 ودراسة السراج 1996، 1997، ودراسة ثابت 1998، 1999" حول موضوع علاقة التعرض للصدمات والعنف الإسرائيلي على الأطفال.

فقد اتفقت هذه الدراسة مع تلك الدراسات السابقة في كثير من جوانبها ،إلا أن التساؤل يظل قائماً بصورة تدفعنا للتمحيص لأجل المعرفة بالنتيجة،وهي إذا كانت الدراسات تشير الى وجود آثار سلبية لدى الأطفال،فإن المتوقع تراجع مشاركة الأطفال في الانتفاضة،ولكن المشاهد على أرض الواقع هو تزاحم وتدافع وتزايد عدد المشاركين في فعاليات الانتفاضة بطريقة تجعلنا نتوقع أن المشاركة تنبه داخل الطفل بعض العوامل التي قد تلعب دور الحماية من المخاطر زمن الصعوبات، وأن هذه العوامل قد أمدت الطفل بالطاقة والقوة اللازمة لمواجهة آثار التعرض للمساوئ النفسية بصورة قد تكون هي

السبب وراء تدافع الأطفال للمشاركة في فعاليات الأحداث،من هنا تعتبر أساليب المبادرة والإيجابية أفضل في الوصول إلى حالة التكيف من الأساليب السلبية،فالانتفاضة أتت بعد سلسلة متواصلة من التراكمات لواقع القهر والمعاناه الطويلة التي عاشت داخل الإنسان الفلسطيني،وفي المقابل لم تتوافر أمام الفلسطيني السبل والطرق الصحية للتعبير عن إحباطاته وتراكماته المتواصلة بطريقة جعلت الحاجة ماسة أمام أفراد المجتمع لإخراج هذه الطاقة العنيفة الناتجة عن الإحباط والتي إن لم تجد لها متنفساً في عالم الواقع ،فسوف ترتد الى الذات والمجتمع لتخلق لنا حالة من الفوضى والأمراض المجتمعية،ومن هنا فالانتفاضة بهذا الشكل وفي هذا التوقيت هي علاج نفسي للسكان الذين يعانون من تراكمات متواصلة لسلسلة طويلة من القهر والهوان،وهي أيضاً كما وصفها بعض الباحثين بأنها علاج جماعي تحول فيها المجتمع الفلسطيني من طور الضحية إلى حالة السيادة والتحكم في المصير (**Nashef 1990**)، وبدلت دماء المهانة والاستكانة والخنوع الذي حاول الاحتلال غرسه داخل شرايين الفلسطينيين الى دماء كرامة وفاعلية وشموخ ، وقد أثبتت الدراسات أن المشاركة الفاعلة انعكست إيجابياً على الأطفال فزادت قدرتهم على التحمل وشعورهم بالكرامة وتقدير الذات وانخفضت لديهم معايير القلق المعطل (**Baker 1990,Rouchama 1989**).وهناك نتائج لأبحاث تفيد أن تعرض الأطفال لمواقف صادمة ناشئة عن العنف السياسي تزيد من ميلهم إلى استخدام أساليب المبادرة وأساليب المشاركة في العمل الوطني من أجل تحقيق التكيف الأمثل،ومع ذلك فهذه الأساليب لاتحمي بالضرورة الصحة النفسية لهؤلاء الأطفال،وبكلمات أخرى عندما يصل التوتر الى درجة عالية فلا يمكن لأساليب التكيف النفسي أن تكفي لتخفيف الآثار السلبية لهذا التوتر (**Punamaki 1993**). ولكن الإجراءات الصعبة التي استخدمتها سلطات الاحتلال كان لها الأثر المخيف والصعب على المواطنين وأهمها اقتلاع وهدم المنازل والبيوت،وهنا تكمن المشكلة في محاولة فحص

تأثير فقد المنزل على الطفل.

البيت بالنسبة للطفل:

يتبادر الى الذهن أن البيت هو السكن،فالسكن في اللغة هو السكون والهدوء والراحة والطمأنينة،وهو المقوم الأساسي لتوفير سبل الحياة وبقائها واستمرارها،وأن البيت من الوجهة النفسية يعني الانتماء والتجذر ويعني الإنسان نفسه،ويعني أيضاً شبكة علاقات بين أفراد يكونون في النهاية الأسرة والتي تقوم بين أعضائها شبكة متكاملة من العلاقات الإنسانية وبأدوار معينة ووظائف لأعضائه.إنه في النهاية يعني الطمأنينة والأمان والمأوى الذي يستظل فيه الإنسان ويشعر فيه بالراحة والسكينة،وبالتالي وجود والدين للطفل يستظل بظلهما ويشعر في وجودهما بالطمأنينة والأمان.لذلك تتكون لدى الطفل منذ البداية علاقة ارتباطية بين البيت والطفل،وهذه العلاقة لها أربعة أضلاع أساسية وهي:

البيت ——> الوالدين ——> الطمأنينة والدفء ——> الأمان والحماية،وهي كلها تساوي شعور الطفل بالانتماء إلى هذا البيت،ومن خلال أضلاعها الأربعة المتفاعلة ينتج لدى الطفل إحساس بالانتماء والشعور بالذاتية،او الهوية.إذن يتكون لذى الطفل منذ البداية أن البيت هو شخصيته أولاً ثم الوالدين ثم الأمن والأمان الذي يوفرهما الوالدان للطفل،ثم الشعور بالراحة والاستقرار في كنف والدين قادرين على توفير الدفء والمودة والراحة للطفل،وأن البيت في ذهن الطفل يشير الى ملكية الطفل وخصوصية البيت للطفل،بحيث إنه يقود في النهاية إلى أن البيت هو أسرته الخاصة به والتي تمثل له حياته وبدونها لايقوى الطفل على مواجهة الحياة.

ولكن ما الذي يحدث هنا حينما يتم اقتحام الجيش للمنازل ويقوم بهدمها ؟يحدث شعور بالضياع لدى الطفل،وضياع الأمن والطمأنينة للطفل أولاً ثم انتهاك المكان الخاص به وبأسرته والذي يشعر فيه بالأمان،وتتفاقم الامور سوءاً حينما لايستطيع

رمز الأمن والأمان توفير ذلك له أمام سلطة الجيش الذي انتهك حرمة البيت وقام بتدميره،وأقصد بذلك الوالدين ،واللذين غالباً مايتعرضان للضرب أو الإهانة أو لأي مظهر من مظاهر العنف التي لم يعتد الطفل أن يراهما فيها،أو أنه يرى أمام عينيه سلوك الجيش حينما يقوم باعتقال والده،حيث يتم أخذ الأب بالقوة وبدون إبداء مقاومة وتوثيق يديه وعصب عينيه أمام أهله أحياناً وأمام الطفل الذي يشعر في هذه اللحظة أن الأب بحاجة الى الأمن الذي يمثله بالنسبة لطفله.

إن اقتحام البيت وهدمه من قبل الجيش هو انتهاك للأسرة ولفاعليتها أمام الطفل،وهو إبداء وإظهار لعجز الوالدين في توفير الحماية والأمن والطمأنينة وهو أيضاً إضعاف وإنقاص لفاعلية الأسرة من خلال حرمان الطفل من أحد أفرادها الذي تم اعتقاله أمام الطفل.

ولكن ماذا يعني هذا بالنسبة للطفل في هذا الموقف؟أي موقف اقتحام وهدم المنزل واعتقال الأب بالنسبة للطفل،أو ما ردود الفعل والتأثيرات النفسية لهذا الموقف على الطفل ؟وهذا مايحاول الباحث الإجابة عليه من خلال دراسة الحالة.

الحـــــالة:

إنها الساعة الثانية عشرة ليلاً حينما أيقظ الأب طفله البالغ من العمر الثالثة لكي يسير به إلى المرحاض لقضاء حاجة الطفل قبل أن يقضيها في الفراش،فبينما الابن بين يدي والده،إذ بوقع الأقدام خارج البيت وصوت الدبابات والجرافات يسير ببطء شديد،ثم مالبث فجأةً أن سمع إطلاق نار كثيف وإطلاق قذائف الدبابات صوب المنازل المجاورة ،وبدأ حينها الصراخ يأتي من كل مكان حتى غطى سماء المنطقة وسط سكون وهدوء الليل،ففوجئ بالجيش أمامه وقد قفزوا من فوق سور البيت دون أن يطرقوا الباب،فتفاجأ الطفل ووالده بأن الجنود يمسكون الأب من رقبته يسحبوه وابنه بين أحضانه،ليسلموه إلى ضابط المنطقة الإسرائيلي والذي صرخ فيه بأن يرمي طفله على

الأرض،فما كان من الطفل إلا أن لف يديه على رقبة أبيه واحتضنه ليس شوقاً بل خوفاً من هول الموقف ومفاجأته،وكانت تلك آخر لحظة يرى الطفل فيها أباه وبيته،إذ بدأ القصف الشديد للمنازل وبدأ هروب الناس في كل إتجاه طلباً للنجاة،وفي الساعة الثالثة صباحاً وبعد أن هدأت أصوات القذائف والدبابات والجرافات،عادوا الى المنزل ليجدوه ركاماً وحطاماً وكومة أحجار،ولم يعثروا على الأب لأنه كان مطلوباً للمحتلين،فتم القبض عليه واعتقاله.

وبعدها بيوم أي في اليوم الذي تلاه،وفي الساعة الثانية بعد الظهر، إذ بالطفل وبينما هو يلعب ويلهو،فوجئ بجنود الجيش يسرعون من الشارع الرئيس الى البيت مرة أخرى ،فأدركهم الطفل فأخذ يصرخ هارباً الى بيت قريبه، وتشاء الظروف أن يدخلوا مسرعين الى بيت قريبه الذي احتمى فيه الطفل مرة أخرى ،وعندما أدرك الطفل أنهم يتبعونه ،زاد يقينه أنهم يريدون استهدافه، وقد يكون قد أدرك أنه هو المستهدف من هذه العملية، والأهم رآهم وهم يضربون جدته على وجهها عندما تصدت للجيش تسألهم عن سبب دخول المنزل وماذا يريدون بعدما قاموا بكل ماقاموا به ،فلم يسمع الطفل آنذاك إلا الصراخ والصوت العالي وقرع الأبواب ووقع الأقدام المسرعة على السلم والتفتيش الشديد والأصوات العالية لكل شيء والتهديد والوعيد والسؤال عن فلان بصوت مرتفع ،وفجأة يظهر الحل لهذا الموقف ،وهو أنهم أمسكوا بعم الطفل من أعلى البيت ،أمسكوه من رقبته مثلما أمسكوا أب الطفل وأنزلوه من أعلى البيت بسرعة ووضعوا العصابة على عينيه ووثقوا يديه من الخلف ،وفي خضم الاستجابة لهذا الموقف وبينما الأهل منهمكون في السؤال عن السبب في أخذهم الابن الثاني للأسرة،لم يسمع الطفل إلا صراخ الجنود بالامتناع عن الكلام والسؤال وإلا سيضطروا إلى تكسير رأس المعتقل الذي بين أيديهم ،وفجأة وبعد أن أخذ الجيش الابن الثاني عادوا للبيت باكين والحسرة تأكل قلوب الجميع،حينها وجدوا الطفل ذا السنوات الثلاث مختبئاً خلف

باب الغرفة ويحتضن ماكان خلف الباب من ملابس وهو يصرخ بشدة ووجهه قد تحول الى اللون الأصفر من بعض الرتوش من اللون الأزرق على جانبي الأعين والفم،وقد احتضنته أمه وهي تبكي بسبب ما حدث.

بعدها وكما تقول الأم بدأت سلسلة التغيرات تظهر وبشكل واضح على الطفل،وقد تزايدت هذه التغيرات في اليوم الثالث من حادثة الاعتقال وهدم البيت بالجرافات والقذائف،بعدها شاعت في المنطقة اشاعات مفادها عن إمكانية قيام إسرائيل باستخدام أسلوب إبعاد السجناء عن أرض الوطن مثلما حدث وأبعدت إسرائيل الى جنوبي لبنان مامجموعه 415 فلسطينياً عام 1992م،وقد كان حظ هذه الأسرة اثنين من أبنائها وهم أب الطفل الصغير وعمه ولهم عم ثالث لازال محتجزاً في أحد السجون الإسرائيلية.

لقد اعتاد والد الطفل وهو يعمل في فرع البناء في إسرائيل أن يحضر دوماً حين عودته للبيت،يحضر لأولاده بعض الأشياء مثل الحلوى وبعض الألعاب الصغيرة ،وقد اعتاد أطفاله الاثنان أن ينتظروا الأب على باب البيت حتى يدخل معهم وهو يحتضن الإثنين.

بعد إشاعة نبأ إمكانية الإبعاد، كانت الأسرة تضج إنفعالاً وبكاءً ،وعمت الفوضى أرجاء البيت ولم يدرك الطفل لهذا البكاء والصراخ سبباً ،إلا أنه أخذ يتلفت يميناً وشمالاً ليجد جنوداً لكنه لم يجد،ثم أخذ ينظر خارج الخيمة لعل الجنود يقفون في الخارج فلم يجد،وحينذاك لم يبال بالأمر ،فأخذ يد أخته الصغرى البالغة من العمر ثمانية عشر شهراً لكي ينتظروا معاً عودة الوالد وحاجاته لهم والتي اعتادوا عليها، ظلوا ينتظرون الوالد حتى حلول الظلام ،فلم يحضر وطال عليهم الانتظار مع رفضهم الانصياع لأي أمر بالدخول للبيت "الخيمة" وبعد أن حل الظلام الدامس أي بعد أذان العشاء وحينما أدرك الأطفال أن والدهم لم يعد،عادوا وهم متشابكو الأيدي يبكون وينادون بأعلى صوتهم "بابا .. بابا .. بابا"أخذهم من كان متواجداً بالمكان من الناس والذين

حضروا لمساندة الأسرة،وكان جواب الطفل ذي الثلاث سنوات(بابا ماجاش ،وين بابا) أخذ الجميع في البكاء في هذه اللحظة،وقد تزايد بكاء الطفل أكثر حينما رأى الجميع يبكون.

لانعلم بالضبط كم من الوقت استمر الطفل في الصراخ والبكاء،لأن الجميع كانوا بهذا الحال،ولكن الأم تقول إنه استمر فترة طويلة الى أن شعر بالانهاك فغلبه النعاس فنام ليلته دون تناول عشائه الذى اعتاد أن يتناوله مع والده وباقي أفراد الأسرة.

تقول الأم : إن التغيرات بدأت تطرأ في صبيحة اليوم التالي أي اليوم الرابع للحدث،حيث شعرت بتغير الطفل شبه الكلي خاصةً تغير لونه الى اللون الأصفر.ـح قلة تناوله للطعام بشكل يبعث على القلق، إذ لم تنقص وجباته اليومية فقط ، بل أن الطفل يتناول وجبة واحدة يومياً وبكمية بسيطة جداً ، فتأثر سريعاً وزنه ووضعه الصحي الذي أخذ في التناقص.

وحتى اليوم السادس لغياب الوالد عن الأسرة وهدم المنزل ، تقول الام:لقد بدأت الأعراض التالية تظهر على الطفل :

. تغير سيء في المزاج.

. ساءت الشهية.

. تغير لون الطفل الى الأصفر.

. غارت العينان للداخل.

. أصبح الطفل أكثر بكاءً وذا مزاج حاد.

. ميل الطفل الواضح للهدوء والسكينة.

. نقصان واضح في الوزن.

. أوجاع جسمية متعددة خاصة صعوبة في المشي.

. تناقص همته ونشاطه.

. أصبح أكثر خوفاً وتجنباً.

11. أصبح أكثر ملازمة للبيت.

12. أصبح قليل الضحك.

13. أصبح قليل الحركة.

14. أصبح أقل لعباً وتفاعلاً مع الأطفال.

15. أصبح نومه مضطرباً.

16. أصبح أكثر فزعاً ويصحو باكياً.

وكما تقول الأم :بأن هذه التغيرات حدثت خلال أسبوع من هدم الجيش للمنزل واعتقال الأب، حيث إن الطفل مرتبط بوالده بشكل كبير ويعتمد عليه اعتماداً ملحوظاً في أمنه وطمأنينته ،ولكن الأمور تبدلت وشعر الطفل بالخوف الشديد خاصةً حينما لاحظ أمام عينيه أن الأب بحاجة الى الأمن وأنه عاجز تماماً من الدفاع عن نفسه أو تأمين نفسه.

العلاقة بالموضوع ونمط التوحد وأثره في تشكيل الأنا لدى الطفل:

إن أول موضوع في حياة كل طفل يتكون من خلال العلاقة التي تربط هذا الطفل بمصدر الإشباع الفمي (البيولوجي) أقصد بذلك الأم ، فالأم هي أول موضوع في حياة كل طفل ، وذلك من خلال الرابطة التي تقوم على الدفء والإشباع ، وبذلك يتكون لدى الطفل مفهوم بأن الأم هي موضوع ورمز للعطاء والحماية والأمن والدفء العاطفي "أحمد فائق :1986م" ثم بعد ذلك تتسع دائرة علاقات الطفل الإدراكية لتشمل محيطه الأسري وبعض الأفراد في هذا المحيط الأسري ، خاصةً الأب والأخوة الذين يعيشون معه في نفس هذا الإطار الأسري.

وتسمى هذه المرحلة في نظر المحلل النفسي "جاك لاكان" بمرحلة (المرآة) حيث يبدأ الطفل في الشهر الثامن وبعدما أدرك الأم وتعرف عليها من خلال أنشطتها

الإشباعية للطفل ،يبدأ يدرك ذاته وذوات الآخرين في الإطار الأسري الذي يعيش فيه ، أي ذاته منفصلة عن ذوات الآخرين الذين يقعون في نفس إطاره البيئي،

وبذلك تتكون في هذه المرحلة حدود الذات ومالها وحدود ذات الآخرين ومالهم من علاقه في هذا الواقع. "نفس المرجع"

في هذه المرحلة تسود الرابطة البيولوجية بين الطفل ومصدر إشباعه ، حيث إن وجود هذا الطفل رهن بوجود مايكفل له الوجود وأعني بذلك الأم، وبذلك فإن علاقتها بطفلها في هذه المرحلة هي التي تحدد علاقاته المستقبلية وتطلعاته ونمط توحداته وشكل نمو الأنا لديه، وذلك من خلال هذه العلاقة.

لقد تبين أن التوحد بالام في هذه المرحلة من خلال "التثبيت Fixation "1"يؤدي الى توحد بصورة الأم مستقبلاً ،لأن الأم لازالت حية تمارس فاعليتها ودورها حتى بعد مرحلة متطورة من العمر، مما يؤدي الى بزوغ أنا ضعيف واعتمادي على الآخرين مثلما كان الأنا في الماضي معتمداً على الأم مما سيؤدي إلى السلبية وعدم الفاعلية.بعد السنة الأولى من العمر تأتي وقائع المرحلة الثانية ، حيث بداية النمو العضلي والعصبي لدى الطفل ومن ثم قدرة الطفل على الابتعاد عن الأم واكتشافه للعالم من حوله ، وإطلاعه على موضوعات البيئة التي تحيط به ، وبالتالي بداية تكوين الجهاز النفسي المسؤول عن تحديد علاقة الطفل بالواقع وعن إدراك الإنسان لموضوعات الواقع، وبالتالي فمثلما شعر الطفل أن هناك موضوعاً أساسياً استمد منه وجوده البيولوجي في المرحلة الأولى خلال العلاقة الفمية ، فإنه الآن بحاجة إلى موضوع آخر لكي يكمل به نموه ويستمد منه مايؤهله لاجتياز هذه العلاقة بالواقع الخارجي ، وإذا كانت المرحلة الأولى بعلاقتها

"1" التثبيت أحد أهم مصطلحات التحليل النفسي، حيث يتم فيه احتجاز جزء من

طاقة الفرد النفسية ومنعها من التطور بحيث إن الفرد يجتاز المراحل النمائية التالية بطاقة نفسية أقل،ويعتبر التثبيت بمثابة الثغرة في النموالنفسي للإنسان هو قوة الجذب للمعاناة والأمراض،حيث لا أمراض نفسية أو عقلية بلا تثبيت،وهو يمثل بذلك من بذور المرض النفسي والأرضية الخصبة التي يترعرع عليها المرض النفسي أو العقلي.

البيولوجية الفمية قد أكملت بنية الجهاز الأول وهو " الهو " للطفل والذي من خلاله اجتاز وقائع هذه المرحلة ، فإنه الآن بحاجة إلى علاقة جديدة بموضوعات

جديدة تتناسب وطبيعة الجهاز النفسي المنبثق والذي هو في حاجة الى نمو، أي

أنه بحاجة الى موضوع يتشرب منه مايؤهله للنمو مثلما تشرب ما أهله للنمو قبل ذلك في المرحلة الأولى وذلك من خلال موضوعه الأول.

إن السنة الثانية من العمر رغم أنها مصدر للنمو العضلي والعصبي ، إلا أن لها مصدراً آخراً للنمو وهو المظهر النفسي والاجتماعي والذي تظهر بوادره في اتساع دائرة الطفل الاجتماعية، بحيث لم تصبح مقتصرة على الأم فقط ، بل تتعداها الى من هم في البيت من أفراد الأسرة (الأب –الإخوة–الجد– أو الجدة –الاعمام .... الخ) واتساع الدائرة الطوبوغرافية للطفل بحيث لم يعد وجوده مرتبطاً بأحضان أمه، بل أصبح وبفعل النمو العضلي يستكشف أماكن أخرى ويتعرف عليها، وتزداد دائرة معارفه ثراءً بتزايد خبراته ومواقفه التي يرتادها، وبالتالي تزايد تنامي جهاز الأنا من خلال تزايد المدركات ومايقع على مدركاته من موضوعات يحتاج الطفل إلى فهمها والتعرف إليها.

إن نهاية السنة الأولى حتى السنة الثالثة من العمر هي مرحلة بزوغ الأنا ومرحلة تحديد معالم الموضوع الذي سيتوحد به الطفل، وسيؤثر شكل توحده به في تحديد نمط الأنا لدى الطفل،وكثيراً مايتحدد ميل الطفل لموضوع معين وتوحده به من خلال بعض العناصر الهامة وهي:

1–مدى مايوفره الموضوع من إشباع لدى الطفل.

2-مدى مايوفره الموضوع من أمن وعطف للطفل.

3-مدى شعور الطفل بالراحة والهدوء من خلال هذا الموضوع.

4-مدى قدرة هذا الموضوع على حماية الطفل.

5-إن هذا الموضوع يمثل القدرة المطلقة للطفل على الفعل،لذلك تتسم صورته في نظر الطفل بأنها قوية وكبيرة بصورة مطلقة.

وقد ارتبطت هذه أكثر لدى حالتنا هذه بوالد الطفل (الأب)، لأنه وبعد فطام الطفل أصبح يحصل علي إشباعاته البيولوجية من الأم والأب على حدٍ سواء وأحياناً يحصل عليها من الأب أكثر مما يحصل عليها من الأم، وأنه أي الأب يمثل بالنسبة للطفل الأمن والأمان والحماية والقدرة والقدوة، وبذلك تزايدت عناصر الارتباط بين الطفل والأب ، حتى أصبح الطفل معتمداً عليه الى درجة كبيرة.

إن الأب هو الملجأ للطفل ، خاصةً وأنه أي الطفل بفعل تبوله على نفسه وحاجته المستمرة للأم لأجل النظافة جعله يميل أكثر للأب ويلجأ إليه كحماية من الأم التي تقسو عليه كلما شعرت بأنه يريد تغيير ملابسه بسبب تبوله فيها،فكان الطفل ينظر الى الام بأنها مصدر خوف وعقاب وتهديد لأمن الطفل ومصدر رهبة له، بينما ينظر للأب أنه مصدر الحماية والرعاية والعطف وأنه أيضاً العنصر الأقوى الذي يستطيع التغلب على نفوذ الأم ، وبالتالي يمثل للطفل القدرة المطلقة على الحماية والفعل والتنفيذ العملي على أرض الواقع، لذلك توحد الطفل مع صورة الأب وتشكلت أنا الطفل على شاكلة الأب، وأصبح الأب هو المثل الأعلى للطفل والذي يلجأ إليه ويحتمي به كلما تعرض لأي موقف صعب.

ولكن ما الذي حدث حين اقتحم الجيش الإسرائيلي للمنزل واعتقل الأب ودمر المنزل؟ إن الطفل تعرض في هذه اللحظة لموقف عصيب يمكن وصفه بأنه موقف صدمي "Traumatical situation" حيث الفجائية والقوة والشدة للموقف وعدم القدرة

على التصرف والأشد من ذلك اقتلاع الأب بسرعة واختفاؤه من حياه الطفل بصورة سريعة. فهذا الموقف العصيب يحتم على الطفل اللجوء الى حماية الأب فاحتضنه والده بأن لف ذراعيه على عنق والده لكي يوفر له الأب الحماية والامن بصفته هو رمز لهذه الحماية والأمن، ولكن الطفل لم يكن يشعر بأن الأب نفسه هو ضعيف أمام هذا الموقف،حيث أمسك الجيش بالأب من رقبته وجذبه بعنف آمراً الأب بوضع الطفل على الأرض ، والأهم من ذلك أن الجيش أخذ يقيد أيدي الأب ويعصب عينيه أمام طفله بدون قدرة من جانب الأب على إبداء أي درجة من المقاومة ، أي وكأنه ضعيف بشكل ملفت للنظر.

إن الصورة الضخمة التي رسمها الطفل للأب بوصفه رمزاً للأمن والقدرة والحماية تحطمت حينما رأى بعينيه هذا المصدر يتعرض لفقدان الأمن ، لذلك تزعزعت أركان الأنا لدى الطفل ، واختلت معايير توحده ، فأنا الطفل الذي استمد وجوده وقدرته من صورة الأب القوية اختلت بسبب وجود عنصر أقوى من الأب وهو يمثل تهديداً للأب الذي يمثل القوة ، لذلك كانت أول ردود فعل الطفل لهذا الموقف إبداء الضعف والتشوش وعدم ضبط علاقة الطفل بالواقع وانسحابه من المواقف وتغير المزاج وعدم القدرة على اللعب والبكاء المستمر ، وكلها أمور انفعالية تختص بوظائف الأنا والجهاز النفسي الذي تكون على غرار صورة الأب ومن خلال توحد أنا الطفل بالأب ، وبالتالي أظهر الأنا اضطراباً في التكيف مع المواقف الاجتماعية بسبب اختلال معايير التوحد لديه ، فالصورة التي توحد الأنا بها اختلت فاختل بذلك الأنا نفسه ، ولكن ما الذي حدث بالنسبة للطفل فيما بعد أي بعد أسبوعين من اقتحام الجيش للمنزل وهدمه واعتقال الأب ؟ حدث إنقلاب وتغيير من الطرف السلبي الضعيف الى الطرف الفاعل القوي ، إنه يريد إعادة التوحد من خلال إعادة بناء العلاقة بالموضوع ، وهي مانجدها فيما يعرف بالتوحد بالمعتدي، وهو أحد الدفاعات النفسية التي تظهر في بيئة القهر

،حيث يتشرب الضحية سلوك جلاده حتى يحمي ذاته من وطأة المعاناة التي وصلت إليها الذات، ويحمي ذاته من التدهور والاختلال الذي وصلت إليه،فحينما يتوحد الضحية مع الجلاد تكتسب الأنا صفات الجلاد ويصبح الأنا كما هو والجلاد كيان واحد يمارس سلوكه بكل موقف من المواقف التي يتطلب الأمر فيها إبراز القوة، وتبرز القوة هنا في علاقة الضحية مع ضحايا أخرى أضعف منه ، وبالنسبة لحالة الطفل فقد توحد مع المعتدي أي مع الجيش وأول مانلاحظ علامات هذا التوحد في لعب الأطفال ، إذ بدأ يعيد توحداته مع المعتدي أي مع الجيش وقوته ، أي بعدما لاحظ الطفل ضعف أبيه وأنه لم يعد يصلح للتوحد معه وتشرب خصائصه، أدرك بأن القوة ليست لصورة الأب بل مع الجيش،لذلك توحد مع قوة الجيش واستدخلها داخله وأصبحت جزءا من ذاته يمارسها في ألعابه ومعايشته مع الواقع في الألعاب، لذلك حدث انقلاب في شخصية وسلوك الطفل من واقع وسلوك الضعف والعزلة الى واقع البطش والقوة على الأخرين كما لو كان الطفل الآن بشخصية وبقوة جديدة، فالطفل وبما أنه يرهب الجيش ، فإنه يعيد تمثيل الجيش في لعبه وكانه يفعل مصالحة ومواءمة مع الموضوعات المخيفة وذلك بتكرارها وتكرار سلوكها في ذاته ، فالطفل الذي يخشى الكلب يبدأ بتقليد الكلب ويفعل حركاته ويجري وراء أخيه الأصغر منه سنا وكأنه يريد أن يعضه كما يفعل الكلب ، وهو بهذه اللعبة يعيد الموقف والموضوع المرهوب في صورة تقليد وتوحد ويقرب الشئ المرهوب حتى يصبح مألوفا بالنسبة له ، وبذلك يتخلص نفسيا من وطأة الخوف الداخلي من هذا المرهوب ويعطي لنفسه الفاعلية بأنه تشرب جزءا من هذا المرهوب وأصبح هذا الجزء المرهوب في ثنايا الذات ، وبالتالي يقوم بتفعيل هذا الجزء المرهوب في علاقة حركية مع أفراد أو كائنات أضعف منه ، حتى وكأنه بهذه الألعاب يعيد الى نفسه تصوير المواقف الصعبة المرهوبة والموضوعات التي يخشاها ، فيمتص منها ما يؤهله على تجاوز الموقف العصيب بأن يصبح هو نفسه هذا الكائن المرهوب ، ويستعير

لاشعورياً بعض خصائصه وحركاته في علاقته مع الآخرين من حوله.

إن التوحد بالمعتدي يحمل في طياته الخوف من الأقوى المعتدي وفي الوقت نفسه الإعجاب به (التناقض الوجداني) ولكي يحل الطفل معضلة الخوف من المعتدي في زمن القهر ، فإنه يلجأ الى هذه الوسيلة الدفاعية التي تهدف إلى جعل المعتدي في ثنايا الذات ويلجأ الطفل بهذا الدفاع الى جعل المعتدي داخل الطفل وليس خارجه ،ومن هنا يتزود الطفل بشحنة من القوة اللازمة في موقف الضعف، وبالتوحد ينقلب الحال بالنسبة للضعيف ، فبدلاً من العزلة والتقهقر على الذات ، يصبح الطفل مقداماً وشجاعاً ويتفاعل بكل شجاعة مع المحيطين ، بل الأكثر من ذلك يلجأ الى ممارسة سلوك المعتدي بنفس الصورة مع أفراد أقل وأضعف منه ، إنه يحب المعتدي ويعجب ببعض صفاته لذلك يمتصها الطفل لتصبح هذه الصفات جزءاً من أنا الطفل الداخلي ، وتلعب دوراً في إعادة تشكيل الأنا حتى يقوى على مواجهة الواقع بشكل آخر غير الذي كان عليه قبل ذلك ، ويحمل أيضاً الخوف من المعتدي والذي يحاول الطفل التآلف والتكيف معه عن طريق تكرار أفعاله ، فكلما قام الطفل بتكرار الفعل الذي يخشاه كلما أصبح قادراً على التوافق النفسي والتكيف والتآلف مع مخاوفه وقلقه ، فالخوف من الجندي يحله الطفل بطريقة القيام بتشرب سلوكه ،وبالتالي يصبح عدوان الجندي الذي ظهر واقعياً مع الأب ، يصبح هذا الجانب المرهوب في داخل في الطفل بواسطة عملية نفسية لاشعورية "التوحد بالمعتدي " وهدفها تقريب المرهوب من الطفل ليصبح جزءاً منه حتى لايصبح مرهوباً، وبالتالي يحدث التوافق النفسي للطفل ويتحرر الطفل من الخوف الداخلي من الجندي.

لقد أصبح الطفل بعد ذلك يمارس دور الجندي في علاقته بأخته الصغرى وأبناء عمه الأصغر منه سناً ، لقد أمسك بالعصا في يده وكأنها بندقية وأخذ ينادي بأعلى صوته (خش البيت – ماتتكلم أحسن أطخك –إذا تكلمت بكسر رأسك) الكلمات نفسها

التي قالها الجنود لجدته حينما اعتقل والده أمامه وحينما صفع الجندي الجدة على وجهها ،ثم بعد أن تفوه الطفل بكلمات الجندي دفع أخته الأصغر بطرف العصا وأمرها بأن تقف على الحائط رافعة يديها ، وبدأ يأمر أولاد عمه الأصغر بأن يقفوا مع الأخت رافعي الأيدي ولا أحد يتكلم ،ثم بدأ يدفع الطفل الصغير "ابن عمه بالعصا" قائلاً له "لاتنظر لي أحسن أطخك، ثم أحضر عصابة وأراد أن يعصب أعين ابن عمه ويوثق يداه" إنه بهذا الفعل يعيد تصوير ماحدث ويعيد إفراغ الموقف العصيب والصادم من ثنايا الأنا لديه ، وبذلك يتحرر الأنا مما علق به وأثر سلبياً في نموه وقدرته على مواجهة المواقف الواقعية ، وكذلك يعيد شحن الأنا بطاقة نفسية أخرى مستمدة أصلاً من الصورة الجديدة للتوحد بموضوع جديد ألا وهو الجندي ، وبذلك يصبح مجال هذا التوحد الجديد

هو إعادة تشكيل العلاقة مع الواقع بشكل عنيف وعدواني كما يقوم به المعتدي في الواقع.

إن التوحد بالمعتدي هو الملجأ الذي أنقذ الأنا من وطأة الضغط الذي أثقل كاهله وأعطاه شحنة جديدة يستطيع من خلالها إعادة التعامل مع الواقع بشكل أكثر فاعلية ، فبعدما كان ضعيفاً ويحتاج الى حماية "التوحد بالأب" ، عاد من جديد ليصبح فاعلاً وقادراً على العمل والتغيير بحيث أصبح الآخرون يطلبون الحماية منه ، "التوحد بالمعتدي"، فقد تبدل دوره من الضحية الضعيف الى دور القوي المعتدي الذي يطلب الآخرون الحماية منه واتقاء شره ، فقد تغير من دور الضعيف والضحية الذي هو بحاجة الى الأمن ، الى دور المعتدي القوي الذي يطلب الآخرون منه الامن .

إن التوحد بالمعتدي من أهم الميكانيزمات الدفاعية التي تسود في وضعية القهر والتي تسود فيها وضعية الضعف والتوتر بحيث ينفك رباط الأنا مع الأضعف وهو الأب ، ليرتبط بوثاق قوي مع الأقوى وهو المعتدي ويتم توظيف هذه العلاقة ليصبح الأقوى

داخل الذات ويمارس دوره فيها بصورة فاعلة تؤدي الى إنقلاب الدور من السلبي المضطهد ، الى الإيجابي الذي يضطهد غيره، ساعياً في ذلك لإعادة التوازن الذي فقده بعدما أيقن الطفل أن صورة الأب المستدخلة في ثنايا الذات لم تعد الصورة التي تنفع في مثل هذه المواقف التي يذهب فيها الأمن والحماية والملجأ الآمن وهو البيت.

فاعتماد الطفل على الأب الذي ظهر ضعيفاً أمام الجندي ذي النفوذ الأقوى، جعل الطفل يدرك أن الأب الذي كان أقوى مقارنةً بالأم لايستطيع أن يظل بهذا الدور في كل مكان وأمام الجميع ، وبالتالي ليحافظ الطفل على ذاته لجأ الى حمايتها من التفكك بامتصاص جزء من موضوع خوفه وهو الجندي ليصبح جزءاً من ذاته ، وبالتالي تنقلب شخصية الطفل من الدور الضعيف العاجز الى دور الفاعل والقادر على التغيير ويمتلك وسائل التغيير أمام ذاته ، وإن هذا الانقلاب في الشخصية يحدث بطريقة لاشعورية هادفه إلى حماية الطفل من تفكك الأنا لديه وانهياره بعدما فقد الطفل العنصر الأساسي في حمايته وأمنه.

وأما عن البيت الذي فقده الطفل فقد تمثل كثيراً في ألعاب الطفل حيث كانت لعبة الطفل المفضلة آنذاك هي الجلوس على كومة رمال والقيام بالحفر في الرمال حتى يصل الى مدى يده ، ثم يقوم بوضع حجرين صغيرين على باب الحفرة قائلاً لكلٍ منهما "قف هنا ولاتتحرك" وبذلك يصور الطفل نفسه هو وأخته واقفين أمام البيت منتظري الأب حتى يعود ، ثم بعد فترة بسيطة يقوم الطفل بقدمه ويضرب ماحفره حتى يتم تهديمه بصورة كاملة ، ويعود بعد ذلك الى نفس مافعله قبل ذلك، إن وظيفة التكرار في التحليل النفسي تحقيق التآلف والتوافق مع الصدمة، فلازال البيت يلعب العنصر الفاعل والمؤثر في حياة الطفل ، ولازال الطفل يشعر بالخوف والتوتر واللاأمن في ظل فقدان البيت ، فهو بهذا الفعل يدهس البيت كما دهسته الجرافات في الواقع وذلك بعملية لاشعورية تهدف إلى تحقيق الصحة بالتخلص مما تركه الموقف الصعب داخل

الطفل من رواسب ماتزال حية تؤثر فيه.

المراجع:

أولاً: المراجع العربية

-أبو هين، فضل.، ساتزان، ميريل.، (1996م) تأثير إستخدام برامج ترفيهية على المشاكل النفسية والانفعالية للأطفال الفلسطينيين ،دراسة تتبعية. جمعية أطفال لاجئي العالم"بحث غير منشور".

-أحمد فائق(1980م) :الأمراض النفسية والعقلية والاضطرابات الاجتماعية القاهرة، مطبوعات جامعة عين شمس.

-بوناماكي، رايا لينا.،(1982م): الصحة العقلية للطفل والنساء الفلسطينيات تحت الاحتلال الإسرائيلي-ترجمةلويس مليكة(في) قراءات في علم النفس الاجتماعي في الوطن العربي، القاهرة: المجلد السادس: القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ثانياً: المراجع الإنجليزية:

References;

- Abu Hein, F.,Qouta, S.,Thabet,A., &El Sarraj,(1993) Trauma and mental healht of children in Gaza.British Medical Journal 306, 1129.
- Abu Hien, F., (1993) Mental Health of Traumatized Children in Gaza .Paper Presented on the second international conference , Norway .
- Abu Hien, F., & Raasoch,J. (1993) Comparison; Israeli Families Anxiety From SCUD Missiles Versus Palestinian Families Anxiety Since the IntefadaAmerican journal of distress,vol 4,1994.
- Abu Nasr,J. (1985) Effects of war on children inLebanon.Institute for women,s studies in the Arab woeld.Beirut.
- Ager,A. (1993) Mental Health issues in refugee

populations ; Areview. Project on international mental and behavioeal health . Harvard Medical School ,Departtment of Social Medicine.

- Baker, A ., (1990) The Psychological impact of the Intifada on Palestinian children in the West Bank and Strip ; An exploratory Study . American Journal of Orthopsychiatry 60,496-505.
- Baker,A., EL Husseini, S. Arafat , C .& Ajush, D.(1991) The Palestinian child in the West Bank and Gaza Strip. Jerusalem; El Tawin institution. (In Arabic).
- Gibson, k. (1986) Case studies of children in political violence. In S . Burman & P . Renolds (eds) Children in turmoil ; the effects of unrest on township children. Ravan Press, Johannesburg, pp . 97-111.
- Gibson, K. (1989) Children in political violence . Social Science and Medicine 28,659-667.
- Kuttab , D . (1988) Aprofile of stonethrowers. Journal of Palestininian Studies 17, 14-23.
- Nashef , Y . (1992) The Psychological impact of the Intefada on Palestinian children Living in refugee camps in the West Bank, as reflected in their dreams,drawings and behaviour. Peter Lang, Frankfurt Main.
- Pynoos , R. S. & Nader , k . (1988) Psychological first aid and treatment approach to children exposed to community violence ; Research implecations. Journal of Traumatic Stress 1, 445-473.
- Rouhana, K . (1989) Children and Intefada . Journal of Palestinian Studies 18, 110-121.
- Straker, G. (1993) The moral development among black township youth in South Africa. Paper Presented in The Third International Symposium on the Contribution of Psychology to Peace. Ashland, Virginia ,14-18 of August,1993.

- Quota , S. (1993) The Effect of Curfew on children .GCMHP.1993.
- Quota, S. (1993) The Impact of Home Demolition on Children,s Behavior.GCMHP.
- Quota, S. Punamaki, R. &El Sarraj,E. (1995) The Impact of TraumaticExperiences and Activity on Cognitive and Emotional Response among PalestinianChildren,GCMHP